

منطقة الساحل الافريقي بين التدخلات الغربية والأمن والتنمية

The African Sahel region between Western interventions, security and development- الدكتور: خليفة محمد¹

- أستاذ محاضر صنف "أ" كلية الحقوق والعلوم السياسية

- جامعة عمار ثليجي الأغواط

ملخص:

تعتبر منطقة الساحل الافريقي من أهم المناطق استقطابا للتنافس في العالم، و لعل التدخلات الغربية على هذه المنطقة لم تهدأ منذ القدم كونها تستحوذ على الكثير من المعادن المختلفة، لذلك تهدف هذه الدراسة الى تبيان مكونات منطقة الساحل الافريقي وأهم المكونات التي تحويها زيادة على التركيز على سر التدخلات الغربية رسيما منها الفرنسية على هذه المنطقة، وخلصت الدراسة الى جملة من النتائج لعل أهمها الربط بين الامن والتنمية لهذه المناطق وتفعيل المنظمات الفاعلة الاقليمية منها لحماية هذه المناطق من نهب الدول الاستعمارية لمقدراتها النفطية والمعدنية، وهذا كله يصب في استقرار هذه المنطقة أولا ثم الاستثمار في هذه المناطق و وقف الزحف القادم من هذه الدول تجاه الضفة الغربية من المتوسط.

الكلمات المفتاحية: الساحل؛ الامن الافريقي؛ التنمية.

Abstract

The African Sahel region is one of the most important regions for attracting competition in the world, and perhaps Western interventions in this region have not subsided since ancient times, as it acquires many different minerals, so this study aims to show the components of the African Sahel region and the most important components it contains, in addition to focusing on the The secret of Western interventions, including the French, on this region, and the study concluded with a number of results, perhaps the most important of which is the link between security and development in these areas and the activation of regional and international actors' organizations to protect these areas from the plundering of colonial states of their oil and mineral resources. Stabilizing this region first, then investing in these areas and stopping the encroachment coming from these countries towards the West Bank from the Mediterranean.

Keywords: Sahel; African; security; development.

¹ - البريد الإلكتروني: khelifamohamed632@gmail.com

- رقم الهاتف: 0675967435

تعتبر منطقة الساحل الافريقي من أهم المناطق التي تشهد توترا أمنيا على وجه الخصوص بسبب التهديدات المتأتية من الجماعات المسلحة، وهذا ما جعل القوى الكبرى محل أطماع لها فهي تتدخل بشتى الطرق وفي كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وأمام هذا الوضع حاولت هذه الدول استحداث منظمة خاصة بهم سميت بالأكواس لحل المشاكل العالقة التي قد تحدث في هذه المناطق، وبالرغم من هذه الخطوات التي سارعت لها هذه الدول في جعل هذه المنظمة كاللزام منها الا أن قطار التنمية في هذه البلدان على المحك بسبب ارتباط منطقة الساحل بالكثير من المشاكل المرتبطة بالإجرام والاتجار بالبشر وغيرها، وعلى هذا الاساس يمكن طرح الاشكالية الأساسية وهي:

- على أي أساس يمكن اعتبار تدخلات القوى الكبرى ضمانا حقيقيا لبسط الامن و التنمية في منطقة الساحل الافريقي ؟.

أولا: مفاهيم حول الساحل الافريقي:

تعددت المصطلحات والمسميات والمفاهيم التي أطلقت على منطقة الساحل، إذ تعد بمثابة مفتاح دلالي للمهتمين بشؤون المنطقة، فالمتتبع لتاريخها لها عدة تسميات منها: بلاد السودان، بلاد السببة، الصحراء الكبرى، الساحل الافريقي، الساحل الصحراوي، فبلاد السودان وتعني المنطقة العازلة بين افريقيا البيضاء وما تشمله من المغرب العربي وافريقيا السوداء التي ما تملكه غانا إبان الفتوحات الاسلامية لغرب افريقيا، وهي تسمية عربية قديمة أطلقها الجغرافيون العرب الأوائل على المنطقة.

ومنها تسمية بلاد السببة التي تعني المناطق الصحراوية الجنوبية الخارجة عن السلطان، أو حدود الممالك التي كانت قائمة في شمال افريقيا خلال العهد الاسلامي، ويقصد من تسمية الصحراء الكبرى في افريقيا باعتبارها أكبر صحراء مدارية في العالم الواقعة في شمال القارة الافريقية الممتدة من المحيط الاطلسي غربا حتى البحر الاحمر شرقا، وهي منطقة قاحلة تغطي أجزاء واسعة من وسط وشمال إفريقيا¹.

أما مصطلح الساحل والتي تدل على شاطئ البحر أضيف لها مصطلح الافريقي والصحراوي للدلالة على مصطلح الساحل الافريقي والساحل الصحراوي، وأخذت هذه التسمية نظرا لكونها منطقة صحراوية. ولذلك عرفت هذه المنطقة عدة أطوار حيث كانت منطقة مليئة بالسكان وبالحيوانات كالفيلة، التماسيح والاسماك، وكانت أيضا هذه المنطقة مليئة أيضا بغابات السفانا، و لكنها عرفت الجفاف منذ بدايات القرن السادس ميلادي².

¹ - اممر عمورة، (التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي: مقارنة جيو أمنية)، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر 3،

2011، ص 13.

² Mourre Michel *encyclopédique d'histoire*, paris : dictionnaire Larousse bordas 2 eme Edition 1996 p 49

منطقة الساحل الإفريقي بين التدخلات الغربية والأمن والتنمية

وهناك من شبهها بالصحراء المحيطة لكونها تحتوي على سطح تترج فيه الرمال بالصخور بشكل يشبه قاع المحيطات وهذا التشبه ليس من صنع الخيال بل هو يثير الفضول لمعرفة التاريخ الجيولوجي للمنطقة¹.

إن منطقة الساحل الإفريقي عبارة عن شريط يمتد على مسافة 5400 كلم من المحيط الأطلسي في الغرب الى البحر الأحمر وهو يغطي أجزاء من أقاليم السنغال، جنوب موريتانيا، مالي، بوركينا فاسو، جنوب الجزائر، النيجر، شمال نيجيريا، تشاد، شمال السودان، وجنوبه، شمال أثيوبيا، إريتريا.

ويحتل الساحل الإفريقي مساحة تقدر ب 3.053.200 كلم مربع ويحده من الشمال الصحراوي الكبرى ومن الجنوب السافانا، ويشتمل الساحل الإفريقي على جزء من منطقة الصحراء الكبرى والتي تغطي في مجموعها جنوب المغرب وتونس ومصر والجزائر والنيجر ومالي والتشاد والسودان والصحراء الغربية².

وتعرف منطقة الساحل الإفريقي على أنها حزام الفقر الأسود الذي يشمل: النيجر، تشاد، بوركينا فاسو، مالي، وموريتانيا³.

ومن خلال ما سبق يتضح أنه لا يوجد إجماع بين الباحثين حول تحديد الدول المنتمية والمشكلة لمنطقة الساحل الإفريقي، فعملية الضبط بقيت صعبة وتحكمها عدة عوامل لاسيما دول مركزية في قلب منطقة الساحل الإفريقي ودول أخرى تسمى دول الطوق أو المحور.

ثانيا: التجمعات الاقليمية لدول الساحل

ظهرت اللجنة المشتركة لمكافحة الجفاف في منطقة الساحل وهو تجمع ما بين الحكومات لمكافحة التصحر وشكل إطارا تنظيميا وأبرز حدود منطقة الساحل من الناحية البيئية وحصر الدول المعنية بمنطقة الساحل في دول منها: التشاد مالي موريتانيا بوركينا فاسو غامبيا السنغال جزر الرأس الأخضر.

المنظور الفرنسي للساحل والذي ظهر من خلال منطقة الفرنك الفرنسي والتي أسس بناءا عليها الاتحاد الاقتصادي والنقدي لدول غرب إفريقيا ويتشكل هذا التجمع من بوركينا فاسو البنين ساحل العاج مالي النيجر غينيا بيساو السنغال الطوغو.

ويأتي التجمع ما دون الاقليمي لغرب إفريقيا ليحصر جميع دول الغرب الإفريقي ليمتد حتى نيجيريا ويشمل 15 دولة، ويتكون تجمع الساحل والصحراء الذي أتى بمبادرة ليبية من بينها : مصر ليبيا تونس المغرب ودول من إفريقيا الغربية والوسطى .

يظهر من كل هذه الاطروحات وجود دول أساسية مركزية في الساحل الإفريقي وتشمل كل من موريتانيا السنغال النيجر ومالي والتشاد ويتم توسيعها لتشمل دول أخرى بغرب إفريقيا أو جنوبا تجاه نيجيريا⁴.

¹ علي بن هادية و آخرون، القاموس الجديد للطلاب، ط 7، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ص 42

² محمد خميس الزوكة، دراسة في الجغرافيا الاقليمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص 35، 36.

³ فليب عطية، امراض الفقر و المشكلات الصحية في العالم الثالث، مطابع السياسة، الكويت، 1992، ص 49

⁴ اعمر عمورة، المرجع السابق، ص 16

ثالثا : أهمية منطقة الساحل الافريقي:

تستمد منطقة الساحل قيمتها الاستراتيجية من ارتباطها الوثيق بأهم طرق المواصلات في العالم، فهي حلقة الوصل الامنة بين الغرب (القارة الامريكية) والشرق (اسيا) وبين الشمال (اوربا الغربية) والجنوب (افريقيا الوسطى) وزادت أهمية هذه المنطقة اهميتها خاصة في اكتشاف النفط واليورانيوم وتوسطها لأهم الموانع المنجمية والنفطية كما أشرنا سابقا، لهذا يشكل الاقتصاد عصب الأنظمة التسلطية وانهيار اقتصاد دولة ما يكشف الغطاء عن نماذج الشرعية التقليدية، فالطوارق الذين يقيمون في الامتداد الجغرافي الأكثر فقرا و الأقل تنمية في الصحراء الكبرى بشكل عام، حيث تشكل مدن "تمبوكتو" و "كيدال" أهم مدنه .

ومنه ينعكس أوجه التخلف في هذه المناطق الصحراوية في الكثير من المؤشرات منها : تدني معدلات النمو الاقتصادي، المستويات العالية للفقر، إذ أن أكثر من 60 بالمائة من سكان مالي يعيشون تحت مستوى دولار واحد في اليوم، اضافة الى تفاقم المديونية وتدني مستوى دخل الأفراد وتدني مستوى البنية التحتية¹.

وبالتالي تزخر منطقة الساحل الافريقي بثروات مهمة يمكن أن تجعل منها قطبا اقتصاديا تقوم بها دول المنطقة قائمة على منطق تكاملي تعاوني مبني على مشروع استراتيجي يستغل ما تزخر به المنطقة من امكانيات وطاقات، ولتقييم المكانة الاستراتيجية لمنطقة الساحل الافريقي، وبحكم الخصوصية الجغرافية للمنطقة التي تتمتع بها باتت مسرحا سريا للتجارب الحساسة الاوروبية كالأسلحة الكيماوية والأسلحة الباليستية والتدريبات الجوية².

لذلك تعتبر منطقة الساحل الافريقي واحدة من المناطق الاستراتيجية بالغة الاهمية في التقسيم الجيوسياسي للعالم فقد استحوذت هذه المنطقة على حركة التنقل بين الشمال والجنوب وما بين الغرب وشرق القارة الافريقية علاوة على امتلاكها لعوامل جذب داخلية سواء بفعل مواردها الطبيعية أو بسبب ما يتفاعل بها من تناقضات عرقية وسياسية وحضارية مختلفة ساهمت بفتح الباب للتدخل الأجنبي شؤون المنطقة.

1 الثروات الطبيعية: النفط والغاز: تضم القارة الافريقية حوالي 10 بالمائة من احتياطي النفط العالمي المثبت ويتركز معظمه بنسبة 60 بالمائة في منطقة الساحل الافريقي وتحديدا في ثلاثة دول رئيسية منتجة هي نيجيريا الجزائر وليبيا، في حين تبلغ احتياطات الغاز المثبتة للقارة حوالي 8 بالمائة من نسبة الاحتياطات العالمية، ويتوزع أكثر من 50 بالمائة من هذه النسبة دولتين أيضا هما نيجيريا وليبيا.

ومن مميزات النفط والغاز الافريقي هو سهولة استخراجهم وتسويقه بسبب مواقع القارة الاستراتيجية بين القارات العالم وبسبب تركز محطات بكميات كبيرة من النفط على السواحل أو في المياه الإقليمية لدولها، وعلى الرغم من أن نسبة الاحتياطات إلا أن عددا من الجهات الدولية تشير إلى أن هناك العديد من المناطق غير المكتشفة الى الان والتي يمكن أن تحتوي على كميات كبيرة من النفط والغاز من القارة، والملجأ الأخير غير المستنفذ نفطيا خاصة وأن قدرات انتاج العديد من دول القارة لم تصل الى طاقتها القصوى.

¹ - برقوق محمد، الساحل الافريقي بين التهديدات الداخلية و الحسابات الخارجية، العالم الاستراتيجي، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية،

الجزائر العدد 7 ، نوفمبر 2008 ، ص 2 ، 3

²قوي بوحنية، الجزائر والهواجس الأمنية الجديدة في منطقة الساحل الافريقي، قطر، مركز الجزيرة للدراسات، 11 ديسمبر 2014

2 الموارد الطبيعية الأولية:

بشكل عام تعتبر إفريقيا في هذا السياق منجما ضخما ينتج حوالي 80 بالمائة من البلاتين في العالم، وأكثر من 40 بالمائة من الألماس في العالم و 20 بالمائة من ذهبها، و تعتبر صناعة التعدين من الصناعات الأساسية في مالي ويتم الاعتماد على استخراج الذهب والفوسفات والنحاس والألماس، أما النيجر فنجد: اليورانيوم، الفحم، الحديد والفوسفات، الذهب، والقصدير، حيث يعتبر اليورانيوم الخام المرتبة الاولى في قائمة الصادرات أين يوجد بكميات كبيرة في ثلاثة مناطق من النيجر، و يقدر الاحتياطي منه بحوالي 280 ألف طن سنويا تستغله شركة "سوسيل الفرنسية" وفي غينيا بيساو نجد الألماس والحديد الخام والنحاس، أما السنغال فنجد أهم المعادن هو الحديد الخام والفوسفات، كما تستمر موريتانيا بإنتاج الحديد الذي يقدر انتاجها ب 100 مليون اضافة إلى وجود النحاس الذي يقدر احتياطه ب 3، 27 مليون طن من النحاس العالي الجودة .

أما المياه فتشير التقديرات إلى أن القارة الافريقية بصفة عامة تمتلك حوالي 4 الاف كلم³ من مصادر المياه العذبة المتجددة في كل سنة أي ما يوازي حوالي 10 بالمائة من مصادر المياه العذبة المتجددة في العالم، و هي نسبة معتبرة قياسا بالمعاناة التي تعيشها الدول الأخرى في كثير من مناطق العالم¹.

3 الأنهار: أما الأنهار في منطقة الساحل الإفريقي فإن هذه الدول لها مجموعة من الأنهار أهمها نهر النيجر المصنف رابع أنهار العالم من حيث الطول وكمية المياه المتدفقة فيه، وكذلك نهر السنغال المصنف سادس أنهار العالم بالاضافة إلى كثير من الأنهار أقل شأنًا وفروعها، ففي ساحل العاج مثلا هناك تعتبر من الدول ذات الأنهار الكثيرة حيث تعبرها 4 أنهار رئيسية من شطرها الشمالي الى شطرها الجنوبي أهمها "نهر كافا" و "نهر بنداامي" و "نهر سندارا"² ومع دخول حوض "تاوديني" وما يحتويه من ثروات معدنية بتزول ويورانيوم تغيرت النظرة للساحل إقليميا ودوليا، حيث أن اليورانيوم يشكل 68 بالمائة من صادرات النيجر والذهب يشكل حوالي 70 بالمائة من التعاملات الخارجية في مالي علاوة على قطاع الحديد والنحاس في موريتانيا والزنك في بوركينا فاسو، لكن الغريب في الأمر أن هذه الدول لا تستفيد من هذه الثروات في تحقيق التنمية المستدامة.

أصبح الساحل يشكل منطقة عبور استراتيجية لمشروع خط أنبوب الغاز العابر للصحراء من نيجيريا نحو أوروبا مروراً بالأراضي النيجرية والجزائرية³.

رابعا : طبيعة التنافس الاوروبي الامريكي على منطقة الساحل الافريقي :

لقد شهدت المنطقة خلال السنوات الأخيرة تطورات بالغة الأهمية و اقتصر تأثيرها على الدول الغربية عموما بل أخذ أبعادا دولية أخرى تتعلق بحالة التوتر الأمني، فهي فضاء من الصعب السيطرة عليه لطالما كان يمثل القلعة

¹ commission économiques des nation Unies pour l'Afrique **développements économiques et sociaux récent s et perspectives 2010 en Afrique de l'ouest** (rapport sur les condition économiques et sociales en Afrique de l'ouest 2010) p 14

² علي حسين باكير ، التنافس الدولي في إفريقيا و الدوافع و الأهداف و السيناريوهات المستقبلية ، قطر ، مركز الجزيرة للدراسات ، 3 اوت

2019 ص 15

³ قوي يوحنية ، المرجع السابق . ص 45.

الدكتور: خليفة محمد

والحصن الحصين للمتمردين أو (الارهابيين)، وبالإضافة الى الاهتمام العالمي بالمنطقة كما أشرنا سابقا بهدف ضمان السيطرة عليها ولحل عدة مشاكل كانت ولا تزال تؤرق العالم المتقدم خصوصا فيما يتعلق بالجانب الطاقوي التقليدي المتجدد¹.

وعلى هذا الاساس فأغلب دول المنطقة كانت تخضع للنفوذ الاستعماري الفرنسي وبعدها احتدم الصراع والتنافس الدولي عليها، حيث بدأ هذا النفوذ والاستعمار من خلال استغلال الدول الكبرى للصراعات الحدودية الاقليمية بين دول المنطقة وهي نابعة من الواقع بسبب الحدود الموروثة من العهد الاستعماري والصراعات المحلية داخل دول المنطقة كانت نتاج الصراع العرقي الطائفي، وهي مشكلات ظلت منذ ذلك الوقت سببا لأزمة عنيفة في المنطقة².

فرنسا تعتبر الساحل الافريقي مجالها الحيوي باعتباره ملكية استعمارية سابقة أنعشت الاقتصاد الفرنسي ومازالت تحقق الرفاهية له لتستمر نفوذها بقوة في المنطقة خصوصا في: مالي والنيجر والتشاد التي تعتبرها مناطق للفرنك الافريقي التي تخضع لسياساتها واستراتيجيتها الدولية، اضافة الى ذلك فكرت فرنسا في إنشاء ميناء "داكار" لاستغلال موارد افريقيا الغربية وهي تشرف الآن على ثلث أرباع حركة التجارة الخارجية فيها، فطريق الرجاء الصباح عبر السنغال يمكن أن يكون بديلا عن قناة السويس، اضافة الى استغلال البترول النيجيري بنسبة الثلثين ، أما الثلث المتبقي فهو نصيب الشركات الأمريكية و الإيطالية.

أما وجهة النظر **الأمريكية** لمنطقة الساحل تكمن باعتبارها خزاناً كبيراً للثروات المعدنية والنفطية من جهة، ومن جهة أخرى ترى فيها امتداداً استراتيجياً لسياساتها العالمية لمكافحة الارهاب من جهة وإعادة الانتشار في المنطقة بطريقة غير مباشرة من جهة أخرى.

والملاحظ أن النظرة الأمريكية الى منطقة الساحل تتخللها أبعاد مختلفة كما رأينا منها بالأساس أطماع اقتصادية مرتبطة بالاكشافات النفطية ومسائل متعلقة بالجوانب الأمنية القومية خاصة في تعزيز القاعدة العسكرية الأمريكية (أفريكوم) التي تستخدمها كأداة مرتبطة بالاستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب وطبيعة التهديدات في منطقة الساحل الافريقي³.

ان **الخلاف** الأمريكي الاوروبي الفرنسي خاصة لم يأت من فراغ، وإنما ناتج عن الاهمية الجيو استراتيجية للقارة الافريقية، ولهذا فلمنطقة الساحل الافريقي على وجه الخصوص لها دور حيوي باعتبارها حلقة وصل بين شمال القارة وجنوبها وغربها، إضافة إلى الطرفين الأمريكي والأوروبي دخلت الصين على الخط في المنطقة وبدئها في الاستثمار الاقتصادي في المنطقة خاصة في قطاعات النفط والغاز واليورانيوم، وهذا ما أزعج الولايات المتحدة الأمريكية خاصة أن النظام السوداني غير موال لواشنطن في السابق مما جعل الادارة الامريكية تدرج مشكلة "دارفور" في الامم المتحدة وتخلق قلاقل في القرن الافريقي.

¹ عي حسن باكير ، المرجع السابق . ص 22

² يرقوق محمد ، المرجع السابق . ص 34

³ Peter Pham *India in Africa implications of an Emerging Power for AFRICOM and U.S. Strategy United States* SSI 9 March 2011

منطقة الساحل الإفريقي بين التدخلات الغربية والأمن والتنمية

فالوصول الصيني للساحل الإفريقي تميز بالهدوء والثبات وغلبت عليه اللغة الاقتصادية من استثمارات وتعاون وتبادل تجاري ما أثار امتعاض القوى الكبرى ذات المصالح والرهانات الاستراتيجية في المنطقة، حيث تعود علاقات الصين بإفريقيا إلى خمسينيات القرن العشرين وتحديدًا في مؤتمر "باندونغ" 1955 أين قامت بدور كبير في دعم الدول المستضعفة والتي كانت جُلها إفريقية مما يعني أن ميلاد منتدى التعاون الصيني الإفريقي عام 2000 م لم يكن وليد اللحظة بل كانت له جذور إلى ما قبل استقلال الدول الإفريقية وهو الإطار الذي عملت عليه الصين منذ البداية، حيث قفز حجم المبادلات التجارية الصينية الإفريقية من 30 مليار دولار أمريكي سنة 2004 إلى 40 مليار دولار عام 2005 ليصل إلى حدود 55 مليار دولار عام 2006، وتذهب إحصائيات أخرى إلى تسجيل استثمارات الصين في إفريقيا قد تضاعف في غضون ربع قرن ما بين 1980 و 2007 بخمسين مرة ما أهل الصين لأن تكون ثالث متعامل اقتصادي في إفريقيا بعد الو. م. أ وفرنسا، وتملك الصين الشركة البترولية الصينية للبتروكيمياء والتعاون والتي هي شركة تابعة للدولة الصينية والتي عقدت مع النيجر اتفاقيتين في نوفمبر 2003 من مباشرة أعمال تنقيب بمنطقة عرق "تينار" و "بيلما"، وفي جويلية 2005 حازت الصين على استغلال ما قيمته 65 بالمائة من الاستكشافات المحققة في موريتانيا و باشرت في دولة مالي سنة 2008 أشغال تنقيب اكتشافات بترولية لاسيما في حوض "تاودني" و المتاخم لدولة بوركينا فاسو والنيجر، وامتدت الاستثمارات في السنغال و نيجيريا التي استطاعت أن تفتك من استغلال بعض أحواض النفط سنة 2006¹. 45%

ويمكن القول أن التنافس الكبير في الساحل الإفريقي اشتد في الآونة الأخيرة بفعل الامتيازات السياسية والاقتصادية في المنطقة لاسيما بين القوى الكبرى (فرنسا، الو. م. أ، و الصين) ففرنسا ترى أن التعاون والتقارب الأمريكي بين الجزائر و الو. م. أ في محاربة الإرهاب تهديدا لنفوذها التقليدي، في حين ترى الو. م. أ و فرنسا في المد الصيني خطرا استراتيجيا يستوجب الحد منه ما يرفع من شدة الأخطار في منطقة الساحل. ومنه تعد منطقة الساحل الإفريقي فضاء استراتيجيا الذي أصبح يحظى باهتمام كبير بعد أن كان يعيش في عزلة تامة إبان الحرب الباردة، لكن بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أصبح ينظر إليه كقضية أولوية وكقاعدة لا بد منها لاجتثاث أصول الإرهاب تبعا للمنظور الغربي و مصالح القوى الكبرى المؤثرة في الساحة الدولية، فما هي أبرز هذه التهديدات؟.

خامسا: التهديدات التي تواجه منطقة الساحل:

تشهد منطقة الساحل الإفريقي أزمات متعددة و معقدة و مستمرة في عدد من دولها بالرغم من أنها منطقة تزخر بعدة ثروات كما أشرنا سابقا مما جعلها سببا في تصاعد و تكالب القوى الكبرى للسيطرة عليها، لكن هذه المنطقة من العالم تواجه تحديات أمنية خطيرة كالإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للقارات والمتاجرة غير الشرعية بالأسلحة وهو ما تم استخدامه كذريعة للتدخل العسكري من قبل القوى الكبرى بالشكل الغريب الذي نلاحظه الآن وهو ما يشكل خطرا كبيرا على المنطقة برمتها، وتتمثل هذه التهديدات في :

¹ François La Farque La Guerre Mondiale Du Pétrole Ellipses Edition Paris 2008 P 36

الدكتور: خليفة محمد

1- الإرهاب : يعتبر من أكثر المفاهيم صعوبة بين الباحثين و السياسيين خصوصا بل حتى الهيئات الدولية لم تحدد تعريفا جامعاً و شاملاً بسبب نظرة كل جهة منها من هذه الظاهرة، فالإرهاب ظاهرة قديمة ذات طابع متجدد ويعني كل الأفعال الإجرامية العنيفة التي غايتها بث الرعب والخوف وترويع و تخويف الافراد مستهدفا كيان الدولة لتحقيق أغراض و غايات سياسية شخصية غالبا ما تكون بدوافع غياب العدالة والتمهيش، وفي هذا الشأن قدمت الجزائر تعريفا للإرهاب هذا نصه: هو أي جريمة أو الشروع في ارتكابها تنفيذا لغرض إرهابي في أي دولة بحق ممتلكاتها ومصالحها ، و كذلك التحريض على الجرائم الإرهابية أو الإشادة بها و نشر أو طبع أو إعداد محررات أو مطبوعات أو تسجيلات بهدف ارتكاب تلك الجرائم¹.

أما الاتحاد الافريقي فيعرف الإرهاب فيما يلي: لأنه اعتداء إجرامي من طرف دولة أو مجموعة يؤدي لتهديد الحياة والوجود البشري أو يسبب أضرارا لعامة الناس والموارد الطبيعية والإرث الثقافي².

وفي ظل انفلات وتآزم الأوضاع الأمنية في دول الساحل لاسيما في ليبيا التي تشهد حالة فوضى عقب اختيار نظام الحكم فيها، والنزاع في مالي و غيرهما كلها عوامل ساهمت في نمو ظاهرة الإرهاب العابر للحدود والذي وجد الفرصة السانحة لتوغله في المنطقة و تنظيم شبكاته في الصحراء الكبرى التي تشهد غيابا شبه كلي لمنظومة الامن بسبب الضعف و العجز في سيطرة دول الساحل على أقاليمها نظرا لشساعة حدودها وضعف مؤسساتها السياسية والاقتصادية كلها عوامل ساهمت في جعل المنطقة ارضا خصبة لنمو و زيادة نشاطات التنظيمات الارهابية و تحالفها مع جماعات الجريمة المنظمة منها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الاسلامي بزعامة "عبد المالك درودكال" في الجزائر سنة 2003 و كتبية الفرقان بقيادة أبو طلحة في موريتانيا وكتبية الأنصار بقيادة عبد الكريم طالب في النيجر وشمال مالي وأنصار الشريعة في تونس سنة 2011 وجماعة بوكو حرام التي تنشط في نيجيريا و التي تأسست عام 2002 وهدفها نشر تعاليم الدين الاسلامي وحركة شباب الصومال والتي تأسست عام 2006 في الصومال³.

2- الجريمة المنظمة: هي جريمة متنوعة ومعقدة من الأنشطة الاجرامية المتعلقة بالعديد من السلع والخدمات غير المشروعة تهيمن عليها عصابات تضم آلاف المجرمين تتسم بالاحترافية والاستمرار مستهدفة تحقيق الربح والكسب المالي⁴.

ومن أوجه الجريمة المنظمة نجد الاتجار بالبشر والسلاح، تبييض وغسيل الأموال، تجارة المخدرات والهجرة السرية، وبما أن منطقة الساحل تتمتع بخصائص طبيعية وطول الحدود البرية وشساعة المساحة جعلها في انكشاف أمني ما جعل جماعات الجريمة المنظمة تتوسع في زيادة نشاطها مخترقة حدود دول الساحل الافريقي لتقوم بكافة عمليات

¹ - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، أمر رقم 95 11 المتضمن قانون العقوبات المؤرخ في 1 مارس 1995، الجريدة الرسمية، العدد 11

² Pierre Botha, *Centre Terrorism Programmes In Africa An Overview South Africa the African Center for The Constructive Resolution Of Dispute (ACORD) United States 2004 P 12*

³ - سميرة باسط، الاستراتيجية الجزائرية لمكافحة الارهاب 1999 2004، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر 3 كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية 2013، ص 50

⁴ - محمد محي الدين عبد، الاجرام المعاصر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ، 1999 ، ص 88

منطقة الساحل الإفريقي بين التدخلات الغربية والأمن والتنمية

التهريب وتجارة الأسلحة وتهريب المهاجرين غير الشرعيين من الصحراء الكبرى الى دول اوروبا المطلة على البحر الأبيض المتوسط والتي أصبحت منطقة عبور ونشاط لمختلف صور الاجرام

3- **تجارة وتهريب المخدرات:** تعد دول الساحل منطقة عبور لمادتي الكوكايين والهروين المهربة من قبل جماعات الجريمة المنظمة من أمريكا اللاتينية عبر خليج غينيا الذي يعد طريقا دوليا، زيادة على تجارة الكوكايين هناك تجارة وزراعة القنب الهندي المنتشرة بكثرة في منطقة شمال افريقيا، فمن الناحية المادية لا يعتبر القنب الهندي مربحا بالمقارنة مع تجارة الهيروين أو الكوكايين، لكن ما يحدث في المملكة المغربية مروراً بالجزائر وصولاً إلى التشاد وبوركينا فاسو دليل آخر على نمو وتزايد هذه الظاهرة وارتفاع أرباحها في دول الساحل.

4- **تجارة وتهريب الأسلحة:** بفعل الهشاشة الأمنية التي تشهدها المنطقة وانتشار المليشيات المسلحة وسرقة مخازن السلاح وتهريبها عبر الحدود من طرف هذه الجماعات الاجرامية عرفت تجارة الأسلحة انتشارا واسعا في منطقة الساحل الافريقي اذ يشكل السلاح المهرب من مخازن القذافي سببا رئيسا في تعميق الفوضى والتخوف من انتشاره ووقوعه في يد التنظيمات الارهابية¹.

5- **الاتجار بالبشر :** وهناك من يطلق عليها اقتصاد المتاجرة بالبشر وتتضمن أنشطة غير قانونية كاستخدام القوة و الاكراه و الغش و التحايل لان جريمة التجارة بالبشر تدر أرباحا سريعة لممتنهيها ، وتسعى شبكات الاتجار بالبشر في منطقة الساحل الى توظيف البشر كسلعة و كموزعين للمخدرات قسرا أو طوعا ، وطبقا لاتفاقية الامم المتحدة لعام 2002 في المادة الثالثة منه عرفت مصطلح الاتجار بالبشر كما يلي: تجنيد أشخاص أو نقلهم أو تنقلهم أو إيوائهم أو استقبالهم بواسطة التهديد بالقوة أو استعمالها أو غير ذلك من أشكال القسر أو الاختطاف أو الاحتيال أو الخداع، وتشمل الاستغلال كحد أدنى لاستغلال دعارة الغير أو سائر أشكال الاستغلال... الخدمة قسر أو الاسترقاق².

6- **الهجرة غير الشرعية:** إن هجرة الموت أو هجرة اليأس الناتجة عن عدم توفر الامن والاستقرار في هذه الدول عوامل أدت الى تنامي هذه الظاهرة في أوساط الشباب الباحث عن تحقيق طموحاته في بلدان أخرى لم يجد طعم الحياة في بلده الأصلي، وقد عرفت منطقة الساحل الافريقي ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر الصحراء الكبرى نحو شمال إفريقيا بالأخص الجزائر وليبيا للاستقرار فيها أو كمناطق عبور للصفة الغريبة، وهذه الظاهرة خطيرة وبالغة التعقيد لما تشكله من تهديد للتماسك الاجتماعي³.

ويمكن تفسير الهجرة غير الشرعية في منطقة الساحل الافريقي الى عدة عوامل منها: خفض حالات الاستياء لدى المهاجرين بسبب التحويلات المالية المرسلة من الخارج، كما تساعد الهجرة غير الشرعية في التخلص من الأوضاع

¹ نبيل بويبة ، المقاربة الجزائرية تجاه التحديات الأمنية في منطقة الصحراء الكبرى، مذكرة ماجستير بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر 3 ، 2010 ، ص 79 .

² فتحى هاني جورجي، جريمة الاتجار بالأشخاص و الجهود المصرية لمكافحةها، أعمال الندوة الاقليمية حول الجريمة المنظمة عبر الوطنية، القاهرة ، مركز الدراسات القضائية ، 2008 ، ص 83 .

³ حسن حسن الامام سيد الأهل، مكافحة الهجرة غير الشرعية على ضوء المسؤولية الدولية و أحكام القانون الدولي، دار الفكر الجامعي، بيروت ، 2014 ، ص 35

الدكتور: خليفة محمد

المزربة التي يعيشها المواطنون لاسيما الشباب منهم، وتمثل الصراعات والحروب في المنطقة عاملا من عوامل اللا أمن واللا استقرار تدفع بالسكان الى الهجرة، وتتقاطع هذه الظاهرة مع ظاهرة أخرى هي استغلالهم في أعمال الدعارة. تعيش منطقة الساحل الافريقي عدة تهديدات عابرة للحدود أهمها: التنظيمات الارهابية والجماعات المسلحة والانقلابات السياسية في التنافر على السلطة بالإضافة الى جميع أشكال الجريمة المنظمة من تهريب للأسلحة ومخدرات وأتجار للبشر ما جعل هذه المنطقة بؤرة صراع وتوتر تهدد بانفجار الأمن على المستوى الاقليمي والعالمي.

الخلاصة :

ان النزاع في منطقة الساحل الافريقي لم يكن وليد اليوم وانما له امتدادات تاريخية طويلة كتهميش أقلية الطوارق منذ استقلال هذه الدول (1960 و 1962) و كذلك التهميش والاقصاء لعرقيات مختلفة المشكلة لهذه الدول، زيادة على مطالبة هذه العرقيات بالانفصال كإقليم الازواد في مالي فضلا عن الطبيعة الصحراوية القاسية التي تميز المنطقة والتي تتميز بندرة الأمطار وشحها وصعوبة العيش في هذه المناطق، كل هذه العوامل أدت الى وجود تناقض بين امتلاك هذه الدول موارد ضخمة وحالة شعوبها التي تعاني من الفقر والتهميش والتخلف والاقصاء وتفشي الفقر والأمراض والمجاعة وغيرها .

والامر الذي زاد الطين بلة هو زيادة الجماعات الارهابية واستحواذها على جزء كبير من الأسلحة بسبب غياب منظومة أمنية دفاعية لهذه الدول والتي بسببها أججت الوضع وأفرزت التدخل الأجنبي لهذه الدول إن لم نقل هذه الدول هي من صنعت ووظفت هذه الجماعات كذريعة للتدخل للاستحواذ على ثرواتها.

ولهذا عجز المنظمات الاقليمية على فض النزاعات في القارة الافريقية عموما والساحل الافريقي خصوصا لاسيما المنظمات الفرعية الاقليمية كالمنظمة الاقتصادية لغرب افريقيا والتي تفتقر الى الموارد المالية ومحدودية قدرتها العسكرية وعدم استقلاليتها في اتخاذ القرارات بسبب سيطرة الجانب الفرنسي على هذه الدول وولائها بشكل كبير لها، ومن وجهة نظرنا وجب تفعيل مساعي مكافحة الجريمة في إطار مقارنة إقليمية والعمل على تنسيق المبادرات بين الفواعل المعنية بعملية السلام في منطقة الساحل من أجل وضع خطة عمل مشتركة تعتمد على حزمة من التدابير والاجراءات من بينها التنسيق المخبراتي بين هذه الدول وإدماج الفئات الهشة و الفقيرة داخل مجتمعاتهم.

ومن ثم تواجه منطقة الساحل الافريقي بحكم قلة سكانها التي هي غير مأهولة بالسكان خطر تجارة المخدرات ومهربي السجائر ووسطاء الهجرة غير الشرعية، لذلك يمارس هؤلاء التجار ممارسة نشاطهم مستغلين طرق مالي وموريتانيا و الجزائر والنيجر لأنها مناطق شاسعة غير مراقبة بالكامل، و يمكن القول أن هذه المشاكل أثرت بشكل أو بآخر على تنمية هذه المناطق، فثنائية الأمن والتنمية التي ركزت عليها معظم الدراسات والتي فسرت على أن الفقر وغياب العدالة في الساحل الافريقي هي من بين الأسباب التي أدت الى التدخل الأجنبي، كما ساهمت هذه الظواهر في زيادة الجريمة بكل أنواعها.

منطقة الساحل الإفريقي بين التدخلات الغربية والأمن والتنمية

ولهذا يقترح الباحث مجموعة من الاقتراحات

- ضرورة الاعتماد على المساعي الدبلوماسية والحل السلمي في فض النزاعات في محيط الساحل الإفريقي وأي تسوية يجب أن تكون مراعية لحدود هذه الدول وموافقة لواقع شعوبها التي هي معنية بالتسوية.
- ضرورة تجسيد الاتفاقيات التي تم التوصل إليها و تطبيق برنامج تنموي لهذه الدول تأخذ بعين الاعتبار خصوصية هذه المناطق وطموحاتها .
- يجب الكف عن التدخلات الخارجية و عدم اعطاء الفرصة لهذه التدخلات بالنسبة لقادة هذه الدول بما يخدم مصالح هذه الدول و سيادتها دون التفكير في المصالح الشخصية الضيقة و بذل التعاون البناء و الهادف لحل مجمل القضايا التي تعصف هذا الجزء من القارة .

قائمة المراجع:

1 المراجع باللغة العربية :

أولا: الكتب:

- 1 الزوكة محمد خميس ، دراسة في الجغرافيا الاقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2008
- 2 بن هادية علي و آخرون ، القاموس الجديد للطلاب ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 7 1991
- 3 حسن حسن الامام سيد الأهل ، مكافحة الهجرة غير الشرعية على ضوء المسؤولية الدولية و أحكام القانون الدولي ، دار الفكر الجامعي، بيروت ، 2014
- 4 عطية فليب ، امراض الفقر و المشكلات الصحية في العالم الثالث ، مطابع السياسة ، الكويت ، 1992
- 5 عيد محمد محي الدين ، الاجرام المعاصر ، جامعة نايف العربية للعلوم المنية ، الرياض ، 1999 .

ثانيا : القوانين :

- 6 الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، أمر رقم 95-11 المتضمن قانون العقوبات المؤرخ في 1 مارس الجريدة الرسمية، العدد 11، 1995

ثالثا: المراكز و الملتقيات:

- 7 برقوق امحمد ، الساحل الافريقي بين التهديدات الداخلية و الحسابات الخارجية ، العالم الاستراتيجي ، مركز الشعب للدراسات الاستراتيجية الجزائر العدد 7 ، نوفمبر 2008
- 8 بوحنية قوي ، الجزائر و الهواجس الأمنية الجديدة في منطقة الساحل الافريقي ، قطر ، مركز الجزيرة للدراسات 11 ديسمبر 2014

الدكتور: خليفة محمد

9 علي حسين باكير ، التنافس الدولي في افريقيا و الدوافع و الأهداف و السيناريوهات المستقبلية ، قطر
مركز الجزيرة للدراسات ، 3 اوت 2019

10 فتحي هاني جورجي ، جريمة الإتجار بالأشخاص و الجهود المصرية لمكافحتها ، أعمال الندوة الاقليمية حول
الجريمة المنظمة عبر الوطنية ، القاهرة ، مركز الدراسات القضائية ، 2008 .
رابعاً: مذكرات ماجستير:

11 باسط سميرة ، (لاستراتيجية الجزائرية لمكافحة الارهاب 1999 2004) مذكرة ماجستير غير منشورة ،
جامعة الجزائر 3 كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية 2013 .

12 بويبة نبيل ، (المقاربة الجزائرية تجاه التحديات الأمنية في منطقة الصحراء الكبرى) ، مذكرة ماجستير
بكلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية ، جامعة الجزائر 3 ، 2010 .

13 عمورة اعمر ، (التهديدات اللاتماثلية في منطقة الساحل الافريقي : مقارنة جيو أمنية)، مذكرة ماجستير
في العلوم السياسية و العلاقات الدولية تخصص : دراسات استراتيجية ، جامعة الجزائر 3 ، 2011

2 المراجع باللغة الاجنبية :

14 *commission économiques des nation Unies pour l'Afrique
développements économiques et sociaux récent s et perspectives 2010 en
Afrique de l'ouest (rapport sur les condition économiques et sociales en Afrique
de l'ouest 2010)*

15 Mourre Michel *dictionnaire encyclopédique d'histoire* paris Larousse
bordas 2 eme Edition 1996

16 Peter Pham *India in Africa implications of an Emerging Power for
AFRICOM and U.S. Strategy United States* SSI 9 March 2011

17 François *La Fargue La Guerre Mondiale Du Pétrole* Ellipses Edition
Paris 2008

18 Pierre Botha *Centre Terrorism Programmes In Africa An Overview South
Africa the African Center for The Constructive Resolution Of Dispute
(ACORD) United States* 2004